## حدود الخلاف بين تركيا والولايات المتحدة

■ حميدي العبدالله

ثمة خلافات أكيدة بين الولايات المتحدة وتركيا. هناك من يتحدث عن خلافات لها صلة بممارسات حكومة أردوغان ضدّ الحريات العامة والعودة إلى خيار الحرب ضدّ الأكراد، بدلاً من البحث عن الحلّ السياسي. لكن ليست هذه هي الخلافات الجدية بين واشنطن وأنقرة، فعلى امتداد تاريخ تركيا منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن، وتحديداً بعد دخول تركيا إلى حلف الناتو، كانت ممارسات الحكومات التركية المتعاقبة فيها مسّ حقيقي للحريات، وعمر الحرب على الأكراد أكثر من ثلاثة عقود، ولكن كلّ ذلك لم يدفع أحد إلى الاستنتاج بأنّ ثمة خلافات جدية بين الولايات المتحدة وتركيا.

لكن اليوم هناك بعدان إضافيان لهذه الخلافات التي لم تحلّ في السابق دون بقاء علاقة التعاون والتحالف بين تركيا والغرب بقيادة الولايات المتحدة.

البعد الأول، هو الموقف من أكراد سورية. من المعروف أنّ أكراد سورية في غالبيتهم هم أكثر ولاءً لحزب العمال الكردستاني في تركيا، وتخشى تركيا من أنّ سيطرة أكراد سورية المنتشرين على الحدود التركية – السورية، على الشريط الحدودي بما يمتلكونه من أسلحة قد تحوّل هذه المناطق إلى مناطق تشبه جبال قنديل في شمال العراق.

وبديهي من شأن مثل هذا التطور أن يضيف إلى قوة حزب العمال الكردستاني، الذي عجز الجيش التركي عن القضاء عليه طيلة أكثر من ثلاثين عاماً قوة إضافية تجعله قادراً على وضع تركيا بين خيارين لا ثالث لهما: إما قبول التسليم بالحقوق التي يطالب بها الأكراد كاملة، وإما السيطرة عسكرياً على المناطق الواقعة جنوب وشرق تركيا ذات الغالبية الكردية، وكلا الخيارين يشكلان بالنسبة لتركيا تهديداً لأمنها القومي. ويبدو أنّ هذه المسألة هي التي تثير خلافاً ربما غير مألوف بين الولايات المتحدة وتركيا حول الموقف من الأكراد.

البعد الثاني، له صلة بسعي أردوغان وحزبه إلى انتهاج سياسة غير منسّقة بالكامل مع الولايات المتحدة وغير منضبطة باستراتيجيتها في المنطقة، على نحو أوسع مما كانت عليه الحال في سياسات الحكومات التركية التي تعاقبت على الحكم منذ دخول تركيا إلى حلف الناتو للوقوف في وجه المدّ الشيوعي. معروف أنّ الولايات المتحدة لا تقبل مثل هذه العلاقة القائمة على الاستقلال الواسع إزاء السياسات والاستراتيجيات الأميركية التي تستهدف منطقة الشرق الأوسط.

لا شك أنّ هذه الأبعاد قد تدفع العلاقات الأميركية التركية إلى مسار متوتر، لكنها لن تخرجها عن نطاق التحالف المستمرّ منذ أكثر من خمسين عاماً.

## فلسطين جائزة السعودية و«إسرائيل»

- لا يغيّر نفي مكتب نتنياهو لكلام وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عن موافقة «إسرائيلية» على قبول مبادرة السلام العربية في حقيقة هذا القبول، فالنفي لتخفيف وقع الموقف لدى متطرفي الكيان.
- نتنياهو لا يريد بالطبع الانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 67، ولا ترك القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطينية، ولا ضمان عودة اللاجئين.
- نتنياهو مستعدّ لإعلان القبول بالمبادرة لبدء مفاوضات لا تنتهي حول الأراضي المحتلة عام 67 وحول القدس واللاجئين.
- نتنياهو مستعدّ لقبول دويلة فلسطينية في غزة بصفتها الخطوة الأولى من دولة على الأراضي المحتلة عام 67 ومنحها المرفأ والمطار والحدود والمعابر بضمانات مصرية سعودية تركية وروسية فرنسية بريطانية أميركية.
- نتنياهو يريد مقابل الخطوة الأولى في غزة وفتح تفاوض يستمرّ لسنوات حول تطبيق متعرّج ومجتزأ للباقي أن يحصل على التطبيع العربي الإسرائيلي، وخصوصاً النفط السعودي على حيفا عبر أنبوب الجزر المصرية.
- السعودية و«إسرائيل» تريدان جائزة السلام على حساب فلسطين للإعلان عن نهاية الصراع والانتقال العلني للتحالف.
- الرهان على إسقاط علم فلسطين من يد إيران والمقاومة وسورية.

التعليق السياسي

## الأردن: أيّ حرية إعلام وديمقراطية وإصلاح؟

■ هشام الهبيشان

أجزمُ انّ غالبية المتابعين للشأن الأردني الداخلي والخارجي على السواء، لم يفاجأوا، بقرار الصحافية الأردنية أمل غباين باللجوء السياسي، بعد ان اغلقت جميع ابواب الحماية بوجهها، بعد فتحها لملف هامّ وخطير تعرّضت على اثره لتهديدات أمنية من قِبل اشخاص كنا نعوّل عليهم ان يقدّموا لها الحماية بدل ان يكيلوا لها سيلاً من الاتهامات والغمز واللمز والتجريح.

في المحصلة أمل غباين لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة بمسلسل اللجوء السياسي، فهناك حالات كثيرة لصحافيين وإعلاميين أردنيّين قرّروا ان ينحوا نفس المنحى في بلد أصبح فيه للفساد وللمفاسدين حماية من قبل لوبيات وأشخاص ومسؤولين.

تزايد حالات اللجوء السياسي في الأردن للإعلاميين والصحافيين تؤكد أنّ هناك ممارسات خاطئة، تمارسُها بعض الأجهزة والمؤسسات المرتبطة بالنظام الأردني اتّجاه الشعب الأردني، فهناك اليوم العشرات من التقارير والدراسات المحلية والعربية والدولية التي تؤكد أنّ الأردن خلال العقد الأخير على الأقلّ، بدأ يتراجعُ بشكل كبير على سُلّم الترتيبات والتصنيفات العالمية للدول الديمقراطية، فهنالكَ اليوم حالةٌ غير مسبوقة من التعديات على حرية الآراء والتعبير، وغيابٌ شبهُ كامل للممارسة الديمقراطية الشعبية، وكل هذا يتمّ وسط حالة من التضييق الأمني والسياسي على حرية الإعلام والإعلاميين.

اعتُقل عددٌ كبير من الصحافيين والكتّاب في العام المنصرم، وحتى الفيسبوكيين في الأردن، وتحت ذرائع كثيرة، تحميها للأسف قوانين وتشريعات رجعية قاتلة للحرّية، كما تمّ فصل العديد من الكتّاب والصحافيين من أصحاب الرأي الآخر، المعارض لجزء من سياسة النظام والحكومة الأردنية من أعمالهم الحكومية التي يعتاشُون منها، وهناك مجموعة من الضغوط المعيشية التي يتعرّض لها اصحابُ الرأي الآخر، وهذه التجربة مررتُ وما زلت أمرُّ بها شخصياً، وهذا طبعاً يدخل من باب الترويع لكلّ شخص، يُعارض سياسات قمعية تُفرض على الشعب العربي الأردني.

ومع ذلك سنستمرّ بالمطالبة بمحاكمة الفاسدين والمفسدين، رغم استمرار بعض الدوائر والأجهزة التي تدور بفلك النظام الأردني بإقرار قوانين تضييقية على حرية الإعلام والصحافيين والإعلاميين والكتّاب، وعلى كلّ شخص يُخالف رأي وتوجهات النظام والحكومة في الأردن، فاليوم نرى بشكل غير مسبوق، تضييقاً كاملاً على حرية الإعلام، وهنالك عشرات القضايا المنظورة أمام القضاء، والتي يُحاكم فيها إعلاميون وصحافيون اليوم في المحاكم الأردنية، والهدف هو ترويع وترويض الإعلام ذي الرأي الآخر.

ختاماً، إنّ فتح ملف الحرّيات وأكذوبة الإصلاح في الأردن، يحتاجُ إلى وقت طويل ومقالات عدّة ودراسات عديدة، لتسليط الضوء على حجم القمع الذي تمارسهُ الحكومة الأردنية ومن خلفها بعض أقطاب النظام الحاكم، وبعض الأجهزة الأمنية على حرّية الإعلام ذي الرأي الآخر الذي يخالف توجهات النظام والحكومة، وعلى هؤلاء بمجموعهم، أن يعلموا أنّ كثرة الضغط ستؤدّي آجلاً أم عاجلاً للانفجار، وهذه دعوة مفتوحة ومستمرة للنظام الأردني، للتعقل بأفعاله اتجاه من يخالفه الرأي، فالتلويح بالقبضة الأمنية والتهديد بمنع لقمة العيش، قد تجدي نفعاً في الوقت الحالي، ولكنها على المدى الطويل، سترتدّ بشكل سلبيّ على الجميع، فهل سنرى، أسلوب تعامل ديمقراطي وعصري من قبلِ النظام مع الإعلام ذي الرأي الآخر والبدء الفعلي بمعالجة قضية أمل غباين وغيرها؟ سننتظر الآتي من الأيام...

# حين تصنع واشنطن (عفريت) داعش... ثم لا تعرف كيف (تصرفه)!

■ د. رفعت سيد أحمد

**ربما لم يعد سراً في التقارير والوثائق الدولية ذلك الدور الأميركي في صناعة جماعات الإرهاب في المنطقة وتوظيفها، ثم بعد أن تعجز عن ذلك تحاربها، فتفشل، فتستعين بالحلفاء الذين أغلبهم مارس نفس الدور، صنع (العفريت) أو الوحش ثم عجز عن تحجيمه فانقلب عليه!**

**● في أسبوع واحد قرأت دراستين أميركيتين، غاية في الأهمية الأولى للمفكر الأميركي المعروف (نعوم تشومسكي) وتحمل عنوان (من يحكم العالم)، والثانية للخبير في دراسات الحركات الإسلامية يعقوب أولِيدورن (وهو يعمل في معهد واشنطن) وتحمل عنوان (تغذية آلة تنظيم الدولة الإسلامية) في كلتا الدراستين تتجه أصابع الاتهام إلى واشنطن (وبعض عواصم الغرب) انهم هم من أنتج تنظيم الدولة الإسلامية، سواء بشكل مباشر أو عبر سياسات استعمارية فاضحة للبلاد التي ابتُليت بهذا (الوحش) المسمّى بتنظيم الدولة.**

**ولعلّ ما توصّل إليه الباحثان، ليس جديداً، فلقد سبقهم في هذا المضمار كثيرون من الساسة والخبراء في الغرب والشرق إنما الجديد هو في توقيت نشر هذه الدراسات وأحياناً في بعض الحقائق المهمة التي وردت فيها، والتي تؤكد ضلوع واشنطن الصريح في الدعم بالمال والمخابرات، ونفط الخليج في خلق هذا التنظيم في العراق، ومساعدته في تدمير سورية وتفكيك ليبيا، وبالتواطؤ معه في سيناء، ولنلاحظ أنّ القوات الأميركية والإسرائيلية في سيناء وحولها لم تمسّ بسوء من قبل هذا التنظيم خلال السنوات الثلاث الماضية! (هكذا يلمّح الخبراء الغربيون).**

***

**● يحدثنا التاريخ أنّ واشنطن وتل أبيب صنعتا (عفريت) داعش وهي الآن عاجزة عن صرفه (وفقاً للمثل الشعبي المصري الشائع)، فلقد كان الهدف الرئيسي من صناعة وحش الإرهاب في سجون الاحتلال الأميركي للعراق ابتداء من عام 2003 هو خلق بيئة اجتماعية متصارعة (سنة وشيعة) تسهّل للمحتلّ بقاء أطول وامتصاصاً لثروات البلاد من النفط، أسهل وأسرع، مع تفكيك للجيش العراقي، خدمة للجيش الإسرائيلي كي يبقى هو الجيش الوحيد المتماسك في المنطقة وهو ما حدث فعلاً، إلا أنّ التنظيم تمدّد إلى سورية عام 2011، وخرج عن السيطرة، سيطرة المخابرات الأميركية التي صنعته في داخل سجونها أو عبر سياساتها الاستعمارية الدامية في العراق.**

**● ولكي لا ننسى وللتأكيد على حقيقة الدور الأميركي في صناعة داعش، فإنّ وقائع تلك الأيام تؤكد بالوثائق أنّ تنظيم داعش انبثق من تنظيم القاعدة (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين) والمعروفة آنئذ باسم تنظيم القاعدة في العراق وهي التي شكلها أبو مصعب الزرقاوي في عام 2004، وهو تنظيم سهّل الاحتلال إنشاءه لتوظيفه في المعارك ضدّ الشيعة.**

**بدأ بتكوين الدولة الإسلامية في العراق في 15 تشرين الأول/ أكتوبر 2006 إثر اجتماع مجموعة من الفصائل المسلحة ضمن معاهدة بين المجموعات المسلحة ومندوبين عراقيين عن المحتلّ واسمه (حلف المطيّبين) وتمّ اختيار أبي عمر البغدادي زعيماً له، وبعدها تبنّى العديد من العمليات النوعية الإرهابية الدامية داخل العراق آنذاك، وبعد مقتل أبي عمر البغدادي في يوم الاثنين 2010/4/19 أصبح أبو بكر البغدادي زعيماً لهذا التنظيم، وشهد عهد أبي بكر توسعاً في العمليات النوعية المتزامنة (كعملية البنك المركزي، ووزارة العدل، واقتحام سجنيْ أبو غريب والحوت)، وخلال الأحداث الجارية في سورية واقتتال الجماعات المسلحة مع القوات الحكومية السورية؛ تمّ وبرعاية أميركية وقطرية وتركية؛ تشكيل تنظيم جبهة النصرة لأهل الشام أواخر سنة 2011، وسرعان ما نمت قدراتها لتصبح في غضون أشهر من أبرز القوى الإجرامية في سورية، وفي 2013/4/9 وبرسالة صوتية بُثت عن طريق شبكة (شموخ الإسلام) التابعة لتنظيم داعش، أعلن من خلالها أبو بكر البغدادي دمج فرع تنظيم القاعدة في سورية (جبهة النصرة) مع دولة العراق الإسلامية تحت مسمّى الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يرمز لحروفها الأولى باسم (داعش)، وكان الراعي لهذا الدمج مخابرات تركيا وبعض دول الخليج بأوامر أميركية لتفكيك سورية، ولا زالت هذه الجماعات الإرهابية تقاتل الدولة في سورية والعراق والآن في ليبيا حتى اليوم (2016). وقتلت من الشعب السوري ما يزيد عن 200 ألف شهيد، وتسلّمت من الممولّين الخليجيّين والأوروبيّين ما يقدّر بـ150 مليار دولار تسليحاً وتدريباً! ثم بدأت تنتقل إلى سيناء تحت اسم «تنظيم داعش - ولاية سيناء» والذي يتلقى أسلحته المتطوّرة بما فيها أجهزة الاتصالات والقنابل الفراغية بل والقنابل المضادة للطائرات، كل ذلك يتلقاه من (إسرائيل) والتقارير والتحقيقات السرية تؤكد ذلك!**

***

**إذن... قصة الإرهاب في منطقتنا خلال السنوات الخمس الماضية، تؤكد فصولها أنّ ثمة دوراً أميركياً و(نفطياً) وتركياً واضحاً، في صناعته، لتفكيك دول وجيوش المنطقة لإعادة تركيبها على الهوى والمصلحة الأميركية والإسرائيلية (لاحظ أنّ كثير من قادة وكوادر «داعش» و«النصرة» و«الجيش الحر» يعالجون الآن في مستشفيات «إسرائيل»، والمعارض السلمي (!!) كمال اللبواني أحد رموز المعارضة السياسية زار الكنيست الإسرائيلي والتقى قادة المخابرات الإسرائيلية عدة مرات).**

***

**إنّ الهدف المشترك بين صناع وممولّي هذا الإرهاب وبين الإرهابيين واضح، وهو تفكيك دول وجيوش المنطقة، ولكن هل يستمرّ الهدف؟ إنّ تاريخ التفجيرات في أوروبا وأحدث فصولها جرت في (باريس – بروكسل) تؤكد أنّ هؤلاء الإرهابيين حلفاء واشنطن وتل أبيب وبعض عواصم الغرب والخليج (!!)، لا صديق لهم، ولا سقف لإرهابهم، وأنّ أول يد سيقطعونها هي اليد التي درّبتهم وعلمتهم حمل السلاح تجاه أوطانهم. لكن هل يفهم الغرب ذلك؟! لا أظن. لذلك... ستطول فصول قصة الإرهاب الدامي، في منطقتنا، طالما لم نمتلك نحن أصحاب الأرض، استراتيجية عربية مستقلة لمواجهته!! والله أعلم.**

E – mail : yafafr @ hotmail . com

# المعارك لاستئصال «داعش» تتجاهل أنها فكر طائفي مسيّس لا يواجه فقط بالسلاح...؟

■ ميشيل حنا الحاج*

فجأة تبدّل كلّ شيء في المنطقة، وخاصة بالنسبة لكيفية التعامل مع «الدولة الاسلامية - داعش». فبعد أن كان التعامل معها لزمن طويل يتمّ بحنان ورأفة من الجانب الأميركي على الأقل، اذا به يتحوّل فجأة الى تعامل النمر المفترس الذي يسعى إلى قضم رقبة الذئب الداعشي.

كلّ شيء تبدّل فجأة، وظهر الأمر وكأنّ بركاناً قد بعثت فيه الحياة بعد رقاد طويل. وفي البداية، بدا الأمر وكأن الرئيس أوباما يسعى لتحقيق إنجاز واضح في عهده ضدّ «داعش»، قبل رحيله عن سدة الرئاسة. ولكن ما كان يبدو أنه مسعى لتحرير الفلوجة، وتحقيق موطئ قدم لأكراد سورية في الشمال السوري المحيط بالرقة (بتعاون ودعم من خبراء أميركيين مهّدت له زيارة مفاجئة للمنطقة نفذها الجنرال الأميركي جوزيف بوتيل)... ظهر بعده تطوّر آخر مفاجئ وسريع، في موقع آخر من مواقع تواجد «داعش».

إذ أنّ هجوماً آخر انطلق من مدينة مصراته باتجاه سرت، أحد معاقل «داعش» في ليبيا. وتقول أنباء بأنّ القوات الليبية المؤازرة لرئيس الوزراء الجديد فايز السراج، باتت تخوض الآن قتال شوارع في داخل مدينة سرت، بينما يقول معلق عسكري ليبي كما ورد في برنامج إخباري على قناة «بي بي سي»، أنهم يقاتلون في أطراف المدينة، ولم يصلوا بعد الى وسطها ليدخلوا مرحلة قتال في شوارع المدينة.

ولكن مفاجأة أخرى أكبر وأهمّ، جاءت عندما بدأت القوات السورية، تحت غطاء من سلاح الجو الروسي، بالتقدّم بسرعة فائقة نحو محافظة الرقة قادمة من جهتها الجنوبية، ووصلت الى داخل منطقة الحدود الإدارية للمحافظة. وهنا وقع المراقبون والمحللون السياسيون في حيرة. فما أعتقد أنّ ما يجري في شمال منطقة الرقة من زحف قوات سورية الدمقراطية ذات الأغلبية الكردية في المناطق الواقعة شمال الرقة، في مناطق غالبية سكانها من الأكراد، مع وجود بعض التركمان والآشوريين، وهو زحف يتمّ تحت جناح غطاء جوي للتحالف المدعوم أميركياً، ولكن بالاتفاق والتنسيق المسبق مع روسيا... شكل التدخل السوري المفاجئ والقادم من جنوب الرقة، مفاجأة مذهلة لأطراف عدة. فهل يجري ذلك نتيجة تنسيق وتخطيط مسبق بين الروس والأميركان، أم جاء، كما قال أحد المحللين على «بي بي سي»، نتيجة مخاوف سورية مفاجئة، بأنّ الزحف الكردي لن يتوقف لدى السيطرة على المناطق الكردية الواقعة شمال مدينة الرقة، بل سيسعى لدخول المدينة وضمّها بعد تحريرها من مقاتلي «داعش»، الى الاقليم الكردي الذي يتمّ التوجه الى إعلانه منطقة كردية ذات حكم ذاتي، لكن تحت راية مركزية الحكومة السورية.

ومن هنا اضطرت سورية، كما يرى المعلق السياسي، للتدخل في معركة الرقة، لتكون قواتها هي من يدخل المدينة ويحرّرها من سيطرة «داعش». وهذا قد يعني دخول القوتين الروسية والأميركية في مرحلة التنافس المعلن، بعد أن كان التنافس بين التحالفين، الروسي والأميركي، في مقاتلة الحركات الجهادية الإرهابية بما فيها «داعش» و«جبهة النصرة»، تنافساً صامتاً.

لكن زخم التقدّم نحو الرقة، سواء من شمالها أو من جنوبها، لم يشكل المفاجأة الوحيدة التي باغتت الجميع لما أفرزته من ارتفاع وتيرة القتال ضدّ «داعش»، وفتح أربع جبهات لها متزامنة وفي آن واحد هي: جبهة الفلوجة حيث تقدّمت القوات العراقية لتسيطر على مدينة الصقلاوية القريبة جداً من الفلوجة، وجبهة سرت في ليبيا حيث باتت القوات الليبية على مشارفها أو في داخلها، وجبهة قوات سورية الدمقراطية المنتشرة في شمال الرقة والمتقدّمة نحو مدينة منبج، بل وباتت على مشارفها، علماً أنّ منبج هي المدينة الأكبر في الشمال السوري بعد حلب، إذ يبلغ عدد سكانها 470 ألفاً، كما قال الدكتور فايز الدويري. والهدف الرئيسي لقوات سورية الديمقراطية، إضافة لأهداف أخرى، هو السعي لإغلاق الحدود التركية في مسافة قد يصل امتدادها إلى أربعمائة كيلومتر، تمتدّ من جرابلس الى أعزاز الحدودية. وهذا كله يجري في وقت تتقدّم فيه القوات السورية قادمة من جنوب الرقة، لتصل الى عمق 12 كلم داخل الحدود الإدارية للمحافظة، في مسعى لمحاصرة مدينة الطبقة الاستراتيجية في تلك المحافظة... ففي خضمّ وزخم تلك التطورات، جوبهت المجموعات التي تقاتل «داعش»، ومن أجل مقاتلتها تخلت الحكومة السورية موقتاً عن مخططها السابق لتحرير حلب من القوات المعارضة المسيطرة على أجزاء منها... بل وفوجئت أيضاً بأنّ المعارضة المسلحة بما فيها «جيش الفتح» الذي تقوده «جبهة النصرة» المنتمية إلى تنظيم «القاعدة»، وبمؤازرة قوات تركية تتسربل بكونها تنظيما سوريا مسلحا اسمه «جيش السلطان مراد»، قد استغلّ التطوّر الجديد، لمهاجمة مواقع الحكومة السورية في مدينة حلب. ويقول مركز المراقبة الروسي في قاعدة حميميم، إنّ ألف جندي تركي يتواجدون الآن في منطقة الشيخ مقصود، بينما يتواجد ألفان آخران، في منطقة عفرين داخل الأراضي السورية القريبة من محافظة الاسكندرون، وهدفهم مؤازرة الجماعات الإرهابية المسلحة وأبرزها «جيش الفتح» و«الجبهة الشامية»، في مهمتها المتوقعة الساعية للسيطرة على كامل المدينة الحلبية.

واذا كان التدخل التركي المباشر والمفاجئ له أسبابه المفهومة، وهي رغبته في إحباط مشروع قوات الحماية الكردية الموصوفة بقوات سورية الديمقراطية، من النجاح في السيطرة على المناطق الشمالية للرقة والمحاذية للحدود التركية على امتداد 400 كلم، وذلك كإفراز لتصنيفهم قوات الحماية الكردية خصماً لكونه تنظيماً مؤازراً لتنظيم PKK التركي المصنف من قبل أردوغان بالتنظيم الإرهابي... فإنّ الدور الذي تقوم به «جبهة النصرة» و«جيش الفتح» من مشاغلة القوات السورية في حلب، لم يفهم بعدٍ إنْ كان هدفه هو مجرد إحكام السيطرة على حلب تمهيداً لإعلانها الى جانب إدلب، «إمارة إسلامية»، أم أنّ له دوراً آخر وهو تخفيف الضغط عن الشقيقة السابقة... دولة العراق الاسلامية التي جرى فك ارتباطها بجبهة النصرة منذ منتصف عام 2013.

ومهما كانت أهداف «جبهة النصرة» وتكتل «جيش الفتح» و«جيش السلطان» و«الجبهة الشامية»، فإنّ ذلك لا ينفي أهمية ما باتت «داعش» تواجهه من معارك متزامنة في أكثر من موقع، وفي آن واحد، مما يشكل بدون أدنى شك، ورقة ضغط كبيرة على داعش لم تواجه مثيلاً لها منذ نشأتها. كلّ ما في الأمر أنّ السؤال الذي سيظلّ قائماً هو: هل ستنجح هذه الضغوط والمعارك المتزامنة في استئصال «داعش»، أم ستؤدّي فحسب الى تحجيمها... ربما لبعض الوقت.

يستبعد العديد من المراقبين والمحللين السياسيين والضالعين في الشأن العسكري، نجاح تلك الهجمات على داعش في القضاء عليها أو استئصال وجودها. كما يستبعدون احتمال السيطرة على محافظة الرقة، وخصوصاً مدينة الرقة، في وقت قريب أو نسبي. ويؤكد هذه الرؤية الدكتور فايز الدويري، وهو أكاديمي أردني متخصص في الشأن العسكري. ويعزز أيضاً تلك الرؤية، الدكتور هشام جابر، وهو محلل سياسي لبناني وعميد متقاعد في الجيش وخبير في الشأن العسكري، اذ أنه يستبعد ذلك تماماً، مذكراً بأنّ التنظيم يمارس في آن واحد نهجين في القتال: نهج المجابهة الكلاسيكية في المعارك العسكرية، ونهج حرب العصابات، فيلجأ لأسلوب الكرّ والفرّ بما ما يفرزه من انسحاب لكن مع العودة فجأة للهجوم. وأودّ أن اضيف الى قول الدكتور جابر، أنه اضافة الى استخدام المفخخات المتفجّرة، هناك العديد من الأنفاق في المنطقة، والتي شقتها داعش أثناء تواجدها الطويل في المنطقة، مما يساعدها على استخدامها في تنفيذ هجمات مضادّة آتية من خلف القوات المهاجمة. فهذه الأنفاق العديدة، سوف تساعده على استخدام عنصر المباغتة في هجماته الشرسة.

ومن تكتيكات داعش المعروفة، تنفيذ هجمات مفاجئة في مواقع لم تكن متوقعة. وهناك أيضاً سلاح التنظيم الأهمّ، وهو سلاح العمليات الانتحارية المعزّزة بتواجد العديد من الجهاديين المتحمّسين لفكرة الاستشهاد باعتبارها طريقاً سريعاً الى الجنة، كما يُقال لهم. وسلاح الانتحاريين سلاح ينفرد به تنظيم «داعش» ولا تملك مثيلاً له القوات السورية أو الروسية أو قوات سورية الدمقراطية. وهذا سلاح، أيّ سلاح الانتحاريين، غالباً ما يؤدّي الى نجاح أحد الانتحاريين في التسلل الى الصفوف الخلفية للقوات المهاجمة، فيؤدّي تفجير نفسه في الصفوف الخلفية وفي وسط تجمع للمقاتلين أو المؤازرين لهم، ملحقاً ضربة موجعة ومعيقة لمخططاتهم.

وإذا ما اضطر التنظيم للتراجع في بعض المواقع، بحيث كاد يبدو للعلن في حالة من الضعف والوهن والتقهقر قد يؤدّي الى فرار بعض أعضائه خوفاً من هزيمة، كما يؤدّي الى تضاؤل عدد المنتسبين الجدد للتنظيم، فإنّ التنظيم في حالات كهذه، من المتوقع أن يلجأ لأن يضرب في الصفوف الخلفية للدول المنضوية تحت جناح التحالف الدولي برعاية أميركية... في صفوف الدول الأوروبية المؤازرة للتحالف، وربما أيضاً في صفوف دول التحالف الروسي أو حتى الإسلامي، وذلك عبر عمليات انتحارية قد ينفذها في مواقع أوروبية أو غير أوروبية، ولكنها مواقع لم يقدر أصحابها احتمالات تعرّضها للخطر، فلم يتخذوا نتيجة ذلك احتياطات أمنية كافية لتداركها.

فداعش، كما يرى بعض الدارسين والمتابعين لنشاطها ونهجها، قد حرصت كما يبدو، على إيجاد خلايا نائمة لها في تلك الدول، تستخدم في حالات الضرورة، وخصوصاً عندما ترغب في التأكيد للملأ بعد ضربات موجعة وجهت اليها، بأنها لما تزل قوية وقادرة. ويرجح أنّ سلاح الخلايا النائمة في الدول الأوروبية، قد تعزز بأعداد ملموسة مؤخراً نتيجة تدفق المهاجرين السوريين وغير السوريين على تركيا وعلى دول أوروبا، مما يرجح احتمال تسلل بعض الانتحاريين بينهم تحت ستار اللجوء الإنساني، لتعزيز سلاح الخلايا النائمة في تلك الدول.

فالضربات في الصفوف الخلفية للدول المهاجمة تحت أيّ ستار أو تجمّع كان، لا يشكل مجرد ضربات موجعة لعدو، بل هو تذكير بالنهج الاستراتيجي الذي اعتمده التنظيم كتكتيك، بل كاستراتيجية للفت النظر اليه، وللانتشار بسرعة متسترأ بعامل تخويف الآخرين منه... والمقصود به نهج الأعمال الوحشية التي تعزز الخوف من التنظيم، والذي من أجل بثه في نفوس الآخرين، لجأت الى قتل الأسرى، وقطع الرؤوس أمام العلن، وسبي النساء واغتصابهن. فالضربات الانتحارية في الدول الأخرى، ستشكل نقلاً نسبياً ونوعياً لخط القتال من سورية والعراق وليبيا، الى خطوط أخرى موجعة واقعة في دول داخلة في التحالفات التي تقاتل داعش.

وهكذا يبدو أنّ المعركة طويلة، رغم التزامن في فتح عدة جبهات، وقد تكون أطول مما يتوقع الكثيرون. واذا نجحت تلك الحملة، فقد تنجح فحسب في إضعاف داعش، لا في استئصالها. ولعلّ الولايات المتحدة قد تعلّمت درساً من طريقة تعاملها مع تنظيم «القاعدة» في أفغانستان، وهو التنظيم الأمّ الذي نمت في دفء حضنه، كلّ الحركات الارهابية السائدة الآن في هذه المنطقة وفي أفريقيا، وكذلك في مواقع أخرى من العالم كأوروبا والمناطق الشيشانية والاسلامية في الاتحاد الروسي.

فالولايات المتحدة رغم حرب خاضتها على مدى أربعة عشر عاماً في أفغانستان ضدّ «القاعدة» وضدّ مناصريها من طالبان الذين يقدّمون الحماية لتنظيم القاعدة ويضمّونها تحت أجنحتهم، لم تفلح في استئصال «القاعدة» أو انهاء وجودها أو نشاطها، الأمر الذي تؤكّده تفجيرات وهجمات تنفذ بين الفترة والأخرى في كلّ من الصومال واليمن وأحياناً في مناطق قريبة من المغرب العربي، كما في العملية الإرهابية التي نفذها قبل شهرين أو أكثر، تنظيم القاعدة في المغرب العربي، في دولة بوركينا فاسو. وهذا الفشل في استئصال «القاعدة» المتواجدة قيادتها في داخل أفغانستان وفي مناطق باكستانية مجاورة للحدود الأفغانية، يرجح أنّ الاكتفاء باستخدام القوة المسلحة وحدها لمكافحة تنظيمات جهادية ذات توجهات سياسية نابعة من أصول دينية متشددة كهذه... هو خطوة غير كافية، خصوصاً أنّ هذه التنظيمات تلجأ للتمدّد في مواقع أخرى غير المواقع المتعرضة للهجوم، فتشكل تنظيمات فرعية لها في دول أخرى كما فعلت «القاعدة» بإيجادها تنظيمات لها في عدة بلدان أخرى. ويرجّح أنّ داعش قد نحت نحو القاعدة في تشكيل فروع كهذه لها وخصوصاً بعد مبايعتها من تنظيمات عدة متواجدة خارج سورية والعراق كبوكو حرام، وأهل بيت المقدس وغيرهما كثر.

اذن أسلحة الحرب التقليدية المستخدمة حالياً في مقاتلة القاعدة أو داعش، ليست وحدها هي السلاح الفعلي المطلوب أو المنتج. فهذه التوجهات المستندة الى فكر اسلامي متشدّد، لا يمكن أن تعالج إلا بفكر مقابل قد يستطيع بعد عدة عقود قد تكون طويلة (فالنتائج لن تكون سريعة ولكن طريق الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة)، من الوقوف في وجه هذا الفكر الجهادي المتشدّد والمضلّل بمفاهيم وتفسيرات خاطئة. والفكر الجديد القديم المطلوب، هو من ناحية، قيام الأزهر الشريف بطرح شروحاته المتسمة بالاعتدال، والداعية للتسامح الديني وعدم إنكار الآخر. ومن ناحية أخرى، العودة الى رفع شأن الفكر العروبي والقومي الذي كاد يتلاشى في خضمّ طروحات الجهاديين، اضافة الى توجهات نحو العلمانية ونحو بعض المنحى اليساري في التفكير، ولو المعتدل منه المتناسب مع وضع شعبنا وتقاليدنا. فهذا هو الردّ الموضوعي والفاعل لاحتواء الأفكار المتطرفة والمتشدّدة التي طرحها بعض الفقهاء المتشدّدين كابن تيمية مثلاً وبعده محمد بن عبد الوهاب.

فالفقيه بن تيمية، قد وضع بذور أفكاره المتشدّدة في بوتقة الفكر الاسلامي والتي تحوّلت بعد عدة قرون، وعلى يد الفقيه والداعية الاسلامي محمد بن عبد الوهاب، الى نقطة انطلاق لوضع تلك الأفكار في موضع التنفيذ في النهج الحياتي والسياسي، منطلقة في البدء من السعودية، لتنتشر بعدها في بعض دول الخليج، ومن ثم الى مصر على يد سيد قطب، ومنه الى أسامه بن لادن، ومن ثم لأيمن الظواهري، وبعده الى «الخليفة» أبو بكر البغدادي.

وهكذا يبدو لي، وربما لآخرين، أنّ هذا التوجه في التشدّد الديني الى حدّ الافراط في التطرف، قد يحجمه أو يؤخره قوة استخدام السلاح، لكنه لن يستأصله. فلا شيء يستأصل فكراً كهذا الا فكراً مقابلاً واضحاً ومقنعاً يدغدغ المشاعر القومية الوطنية، كما دغدغت أفكار بن تيمية ومن والاه، المشاعر والمعتقدات الدينية التي نحترمها كثيراً عندما تكون في إطارها الصحيح كدين اسلامي معتدل ومتسامح كما أراد له الرسول أن يكون.

ولكن الفكر الأكثر استدعاء للاهتمام به على عجل، هو مفهوم الاستشهاد الذي تغسل به أدمغة المنتحرين المزنّرين بكمية قاتلة من المتفجرات. فالمفهوم الذي يقدّم لهؤلاء، هو أنّ مصيرهم الى الجنة فور تفجير أنفسهم في وسط مجموعة، غالباً ما لا تكون من المقاتلين، بل من المدنيين الأبرياء. وهذه نشهدها كثيراً في العراق، وأحياناً في مدينة حماة السورية، بل ونفذت مؤخراً في اللاذقية. فالمطلوب من الأزهر الشريف، أن يبيّن لهؤلاء، أنّ المنتحر يذهب الى الجنة الموعودة اذا كان يفجر نفسه في وسط عدو محتل لبلاده، ويغتصب حقوق شعب ما كالشعب الفلسطيني مثلاً. أما من يفجر نفسه في أيامنا هذه في وسط مدنيين أبرياء ومن أبناء شعبه، من بينهم النساء والشيوخ والأطفال، فهذا يصعب كثيراً القول بأنه سوف يذهب الى الجنة ليلتقي بالله تعالى، عندما يقتل أطفالاً هم أحباب الله.

وهناك حالة أكثر وضوحاً، وهي من يفجر نفسه داخل جامع أو حسينية أثناء قيام البعض بأداء فروض الصلاة والتعبّد لله. وهذه قد حدثت كثيراً في الماضي القريب والبعيد. فكيف يمكن لهذا المنتحر المضلل أن يعتقد أنه حقاً في طريقه الى الجنة، مع أنه قتل للتوّ أبرياء، أثناء أدائهم لصلواتهم متعبّدين لله. فهل من الممكن أن يستقبل الله قاتلاً اغتال للتوّ أناساً كانوا يتعبّدون له؟

على الاخوة في الأزهر الشريف، أن يبادروا فوراً لشرح ذلك لهؤلاء المضللين... وأن يشرحوه لهم مراراً وتكراراً وبأساليب ووسائل مبتكرة وحديثة، لعلهم يقنعون بعضاً منهم بالتراجع عن هذا المفهوم الخاطئ... بل المفهوم القاتل.

*مستشار في المركز الأوروبي العربي لمكافحة الارهاب – برلين
عضو في مركز الحوار العربي الأميركي – واشنطن